البصيرة النورانية وتجليات الكتب المستبصرة: قراءة في ومضة (إضاءة) لعصام الشريف

عباس طمبل، السودان

إضاءة

تساءلت كيف يقرأ في هذا الضوء الخافت؟، نظرت للكتاب، وجدته يضيء.

قد نلمس رسالة هامة في هذه الومضة القصصية التي تحمل عنوان (إضاءة) للكاتب المصري عصام الشريف، وهي أهمية القراءة لأمة ـ اقرأ ـ التي لا تقرأ على الرغم من أن أول آية قرآنية نزلت لنبينا الكريم عليه الصلاة والسلام هي كلمة اقرأ، وهذا مما يدل على أن للقراءة فعل مهم في عقل هذه الأمة..

فالبداية الاستفهامية بالفعل المضارع (تساءلت) قد تفتح لنا أسئلة عديدة حول عقلية من يقرأ، وما هو الكتاب الذي يقوم بالاطلاع عليه، وماهي الفائدة التي

يحققها من فعل القراءة لهذا الكتاب على الرغم من حالة العتمة والتعتيم والتشويش الذي أصاب الأمة العربية، فالشخصية المحورية هنا في هذه الومضة القصصية شخصية بطبعها شغوفة بالمعروفة والإدراك، لذلك أثارت أسئلة مُلِحة تهم الأمة العربية هذه الأيام.

في الشق الثاني قد يأتي تأكيد لنا الكتاب في حد ذاته ليس به لبس خصوصًا كتاب الله فهو بين واضح المعالم، يضيء طريق الأعمى للبصيرة، فكل ما يثار حوله من لغط ما هي إلا مصالح للبشر وكل يفسره حسب أهوائه وأغراضه الشخصية طمعًا في سلطة ومال.

حتى إن كان كتابًا آخر ربما يوضح لنا الراوي هنا أن المعضلة في عقولنا نحن أفراد هذه الأمة، فالفعل (نظرت) قد يعطي هذه الومضة القصصية بعدًا

رمزيًا محفزا على التمحيص والتدقيق قبل إطلاق الأحكام من غير علم، فما أكثر الفتاوى التي يطلقها كل صاحب غرض يضلل بها عقول البسطاء من هذه الأمة..

المدي الزمني في هذه الومضة القصصية قصير نسبيًا فما بين التساؤل عن كيفية القراءة في ضوءٍ خافت، والنظر للكتاب الذي يطلع عليه الفاعل أو الشخصية المساعدة لا يتعدى اللحظة أو اللحظات.

الشخصيات واضحة المعالم ومعالجة بشكلٍ به عناية فائقة من الراوي، فشخصية الراوي نفسه وهي شخصية تطرح تساؤلات بغرضٍ الوصول إلى طريق للنور والمعرفة، وشخصية أخرى مساعدة تقرأ كتابا يشع نورًا فصيحا واضح البيان يهدي إلى الرشد لا زيغ فيه إلا لمن آبى واستكبر لدواعي نفسه الأمارة بالسوء..

البداية كما ذكرتُ استفهامية تطرح تساؤلات عديدة بشأن تراث وموروث هذه الأمة العربية، والنهاية قد تكون حدثية بفعل إضاءة الكتاب، وهذا يعني أن الراوي يريد أن يوضح لنا في السياق السردي أن العقل هو ما يختار نوعية الكتب التي تحمل في طياتها كل البيان.

المدي الزمني للنص هنا الفعل (المضارع) المستمر لأن فعل القراءة لا ينقطع طالما الحياة مستمرة، خصوصًا لكتاب الله عز وجل.

أسلوب السرد الومضة القصصية مروية بضمير المتكلم، المنظور السردي في الغالب منظور داخلي..

العنوان (إضاءة) هنا قد يوضح لنا الحالة العبثية التي تعيشها هذه الأمة من تخبط وتوهان بفعل الإظلام والجهل في العقول، الناظر لحالها من تشرذم وتشتت وضياع يجده أكبر دليل على غياب البصيرة النافذة،

الكثير منا يحتاج إلى إضاءة قلبه واستبصاره بنورِ الحق بعينٍ مستبصرة مشرعة نحو آفاق النور الرباني المتجلي الذي لا لبس فيه، ربما معضلات هذه الأمة من احتراق واقتتال بأطماعٍ في منصب أو جاه ما هو إلا أكبر دليل على حاجة الناس للبحث عن وسائل آمنة تقيهم شر الفتن ما ظهر منها وما بطن، لذلك جاء اختيار العنوان بشكل رمزي موحي غير كاشف لمتن النص يصرح بكلٍ ما فيه من بلاغة وبيان..